الآداب العربيَّة

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

نظر عام (تتمة)

ومن مميزات اوائل القرن العشرين اتساع نطاق الآداب العربيَّة فانَّ تلك النهضة التي شملت اوَّلاً مصر والشام وبعض العراق اخذت تنتشر بفضل المواصلات والمهاجرة الى انحاء السودان ومرَّاكش وتونس وطرابلس الغرب وبلغت انحاء اميركة الشماليَّة والجنوبيَّة وبالاخص نيويرك والبرازيل. فكثرت المطبوعات وتوفَّرت الصُّحُف السيَّارة

وكان من يسة تلك المنشورات انَّها تحرَّرت من كلّ مراقبة فكان اصحابها يعرضون افكارهم بكلّ حُرِّيَّة لا يخافون تقييدًا في بسطها. فنالها بذلك بعض المحاسن وبعض المساوئ فامَّا المحاسن فبكونها خاضت كلّ المواضيع السياسيَّة والادبيَّة والتاريخيَّة والفنيَّة مُطلقة العنان لكلّ العواطف والتخيُّلات لا تخشى انتقاد الاعمال المذمومة ضاربةً على ايدي كلّ ظالم حتى من السلاطين. وامَّا المساوئ فلانَّ بعضًا من الكتبة لم يقفوا على حدود الاعتدال والانصاف فلاموا غير مَلُوم وحمدوا غير حميد وانتقدوا ليس لاصلاح فاسد او تقويم معوجّ بل لغايات شخصيَّة سافلة. وصوَّبوا سهامهم للدين وارباب الكرام واستعاروا من الماسونيَّة ومن بعض المذاهب البروتستانيَّة مغالاتهم في مناهضة التعاليم المسيحيَّة الكاثوليكيَّة فهاموا في بيداء اوهامهم وتاهوا في مهامه جهلهم

ومن مساوئ ذاك الانتشار البعيد ما اصاب اللغة من آفة الفساد وذلك بتوثُّر الالفاظ الاجنبيَّة والاساليب الغربيَّة. وربَّما وضع الصحافيُّون والمعرِّبون في نقلهم عن

اللغات الاوربيَّة مفرداتٍ مختلفة لمسمًّى واحد لاسيما للمخترعات الجديدة. فاضطربت بخلافهم افكار القرَّاء. واسوأ من ذلك اغلاط وسقطات لغويَّة شاعت في الجرائد والتآليف المستحدثة فقام بعض الادباء كالمرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي ينتصرون لآداب اللغة ويزيّفون ما رأوهُ مخالفاً لاوضاعها ولعلَّهم لم يلزموا في انتقادهم الطريقة الوسطى والخطة المثلى فقام غيرُهم يردُّون عليهم ويثبتون صواب تلك التعابير. فبقيت هذه المناقشات عقيمةً اذ لم يوجد مجمعٌ علميٌّ يقضي بين المتناقشين فيفرز بين الغثّ والسمين وينفي الباطل ويقرّر الحقّ المبين

وقد اخذت النهضة الادبيَّة في بدء القرن العشرين تتَّصل ايضاً بالجنس اللطيف فانَّ فئةً من السيدات حاولنَ كتابة فصول ادبيَّة شعريَّة ونثريَّة في الجرائد السيَّارة في اواخر القرن التاسع عشر كريا مرَّاش ووردة اليازجي ووردة الترك بيد اننا لم نطَّلع على جريدة او مجلَّة نلن لهـا الامتياز باسمهنَّ قبل القرن العشرين غير مجلَّة الفتاة التي ظهرت في مصر في ٢٠ نوفمبر من السنة ١٨٩٢ للصاحبة امتيازها هند نوفل ثم مجلة مرآة الحسناء للسيدة مريم مزيك كان اوَّل صدورهـا في مصر سنة ١٨٩٦ ثم مجلة انيس الجليس للاسكندرا الفيريني صدر اوَّل عددها في الاسكندريَّة في نهاية كانون الثاني من السنة ١٨٩٨ وتبعتها في حقبة التي نحن بصددها مجلة السيدات والبنات للسيدة ماري فرح نشرتهـا ايضاً في الاسكندريَّة في اوَّل ابريل من السنة ١٩٠٣ ثمَّ فتاة الشرق للسيدة لبيبة هاشم سنة ١٩٠٦ في مصر وهي لا تزال ثابتة الى الآن

ومما ساعد القرن العشرين في ترقيه في الآداب ظهور بعض النوابغ الذين تكاتفوا وتناصروا لرفع منار العلوم سبقوا عهده ببضعة اعوام او واقفوا طلوع هلاله فكان لهم في نهضته فضل مشكور. وستأتي على ذكرهم في اثناء المقالة

أمَّا الآداب العربيَّة في اوربَّة فكانت في اوائل القرن العشرين ثابتةً على سيرها الحثيث بهمَّة جمعيَّاتها ومدارسها الشرقيَّة. فانَّ عدد المستشرقين كان يزيد يوماً بعد آخر وكان الباحثون منهم يطَّلعون كل يوم على كنوز ادبيَّة جديدة في البلاد التي يتَّصل اليها النفوذ الاوربيّ كتونس ومرَّاكش وبعض جهات الهند والسودان. فنشروا منها قسماً كبيراً في حواضرهم وجاراهم علماء الشرق فابرزوا الى عالم الوجود مخطوطات عديدة كانت مطمورةً في زوايا النسيان. وكفى دليلاً على ذلك لوائح عديدة

كانت تطلع القرّاء مرارًا في السنة على ما يُنشر منها بالطبع . كتعريف المطبوعات الشرقيّة في برلين ولائحة مطبوعات الشرق في لندن وهناك الاعداد الضافية الدالّة على تلك الحركة العلميّة

وها نحن نتّبع في تاريخ هذه الحقبة الاولى سياق كتابنا «تاريخ الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر» فنذكر اوّلًا أدباء المسلمين ثم نلحق بهم أدباء النصارى ونختم بذكر المستشرقين

١ ادباء الاسلام

﴿السيد الافغاني﴾ يسرّنا ان نفتتح باسمه الكريم هذه الحقبة الاولى وان كانت وفاتهُ سبقتها قليلًا اذ لم نستوفِ حقَّهُ في كتابنا عن أدباء القرن التاسع عشر . هو السيد جمال الدين الافغانيُّ الاصل مولود اسعد آباد سنة ١٢٥٤ هـ (١٨٣٨م) درس في كابل ثمّ في الهند على علمائها ثمّ سافر الى مصر والى الاستانة حيث قدَّر رجالُ الدولة قدرهُ وجعلوهُ احد اعضاء مجلس المعارف فاجتهد في توسيع نطاقها لكنَّ أولي الامر تخوَّفوا من حرّيّة افكارهِ فأجأروهُ الى هجر العاصمة والالتجاء الى وادي النيل سنة ١٨٧١ فحلّ في القاهرة ضيفًا كريمًا واقبلَ على العلوم العصريّة حتى بلغ منها مبلغًا عظيمًا وعُرف بفيلسوف الشرق . فالتفَّ حولهُ كل طالبي الترقّي والتحرُّر فكان يبعث فيهم بلهجته وخطبهِ وكتاباتهِ روح الاستبداد فنُفي الى بلادهِ سنة ١٨٧٩ فاحتلّ حيدر آباد وسكن في كلكتّا في زمن الثورة العرابيّة . ثمّ سافر الى اوربّة . وانشأ في باريس مجلّتهُ العروة الوثقى مع صديقهِ الشيخ محمد عبده المصري ساعيًا الى توحيد كلمة المسلمين . ثمّ تنقّل في البلاد الاوربيّة الى ان استقدمهُ ناصر الدين شاهُ الى طهران وجعلهُ وزير الحربيّة فلم تطل مدّتهُ في تلك الوزارة فسافر الى روسيّة ودخل الى باريس وشاهد معرضها سنة ١٨٨٩ وعاد الى ايران باغراء الشاه فعُني باصلاح امورها فخاف ارباب الدولة من تطرُّفهِ فأبعد مريضًا الى حدود تركيا وسكن مدّة البصرة الى ان استدعاهُ السلطان عبد الحميد الى الاستانة سنة ١٨٩٢ واسكنهُ في بعض قصورها فبقي فيها مكرّمًا الى سنة وفاتهِ بداء السرطان في ٩ اذار سنة ١٨٩٧ .

امّا آثارهُ الكتابيّة فهي مفرّقة في صُحُف زمانهِ . نشر منها الشيخ محمد عبدُه رسالتهُ في نفي مذهب الدهريّين وقد اثنينا عليها مرارًا ونقلنا عنها فصولًا شائقة (لها بقيّة)